الأديب البيشاوَري وانعكاسات الثورة الدستوريّة في شعره العربي

مديحة كريمي
ماجستير في اللغة العربية وآدابها – جامعة شيراز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – إيران
Maliheraha70@gmail.com
الدكتور حسين مرعشي
أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة شيراز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – إيران
hosein–marashi@shirazu.ac.ir

Aladib Albishawari's Stance on the Constitutional Revolution in Iran in his Arabic Poetry

Madihah Karimi
MA Student of Arabic Language and Literature , Shiraz University Faculty of Literature and Humanities
Dr. Housain Mar ashi
Assistant Professor of Arabic Language and literature , Shiraz University , Faculty of Literature and Humanities

الملخّص :

في المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، أدّت عوامل حديثة إلي حُدوث تغيير في رؤي المتنوّرين وأفكارهم في إيران؛ يُضاف إلي ذلك الآراء السياسيّة الغربيّة التي أدّت إلي حركات وطنيّة وبالتالي أنتجت الشعر الوطني في هذا العصر. وأُولي التغيّرات التي شهدَها الشعر في هذا العصر كان في حقل الفكرة حيثُ إنّ التطرّقَ إلي المسائل الاجتماعيّة ومَطالب الشعب والتحرّر من الظلم والتعسّف أخذ حيّزًا كبيرًا من اهتمام الشعراء. والسيّد أحمد الرضَوي الملقّب بالأديب البيشاوَري تطرّقَ أكثر من غيره من الشعراء إلي الشعر السياسي، ويمكن عَدّه رائدَ الشعر السياسي الفارسي والعربي في إيران المعاصرة. من هذا المنطلق، وعبرَ دراستنا لأهمّ الأغراض والموضوعات التي تطرّقَ إليها الأديب البيشاوَري في أشعاره العربيّة، وبيان مَوقفه بالنسبة إلي الحوادث التي وقعت أيّام الثورة الدستوريّة، تتّضح لنا الظروف السياسيّة والاجتماعيّة المسيطرة علي إيران في ذلك العصر وكيفيّةُ ظهور غرض شعري عربيّ جديد في إيران أي الشعر السياسي. فبالتالي، يسعي البحث عن طريق المنهج التأريخي ودراسة المصادر المختلفة، الوُصولَ إلي النتائج المطلوبي، وأهمّها: يري الأديب البيشاوَري أنّ مُبتغي الثورة الدستوريّة هو تحقيق مَصالح بريطانيا ويَعدّ دعمَها ذنبًا كبيرًا. فهو يَدعو أنصار هذه الثورة وحتّي الآخوند الخراساني الذي كان من زُعمائها الدينيّين، كفّارًا وزَنادقة. ويَعتبر الآخوند الخراساني المسؤولَ عن المُجون والتغيّر الناشئ في زَيّ النساء بعد الثورة الدستوريّة.

الكلمات الرئيسة : القاجار - الشعر العربي - الأديب البيشاوَري - الثورة الدستوريّة - أحمد شاه - الآخوند الخُراساني .

Abstract:

In the second half of the 19th century, new factors transformed Iranian intellectuals' worldview. Alongside these factors, western political thought led to the formation of national movements and naturally national poetry in this period. The first changes in the poetry of this period happened in outlooks; in a way that social issues, the nation's wishes and freedom from oppression and cruelty attracted the poets' attention significantly. Among the poets of this period, Seyed Ahmed Ibn Shahab Aldin Radavi, known as Aladib Albishawari, has engaged with political poetry more than other poets and he can be considered the pioneer of Persian and Arabic political poetry in contemporary Iran. Examining the foremost themes and topics of his poetry and his attitude towards the events of the Constitutional Revolution, sheds light on the social and political atmosphere of Iran in that time and the creation of a new form of Arabic poetry meaning political poetry. Through historical method and examining different sources, the present study is trying to reach the following conclusions: Aladib Albishawari considered the Constitutional Revolution aligned with England's interests and supporting it, a great sin. He considered its supporters even al-Akhund al-Khorasani, who is among the religious leaders of the Revolution, nonbelievers and zindiqs. He considered al-Akhund al-Khorasani responsible for immoral behavior and change in the way women dressed after the Revolution.

Key words : Qajar , Arabic Poetry , Aladib Albishawari , Constitutional Revolution , al-Akhund al-Khorasani

١. مقدّمة

في منتصف العَهد القاجاري (١٩٢٥م/١٣٤٤ق - ١٧٩٤م/١٢٠٨ق)، أدخل الشعراء والمثقّفون من دُعاة الحرّيّة وكذلك العلماء ورجال الدين نمطًا جديدًا من الشعر الوطني والسياسي في الأدب، وللثورة الدستوريّة دور مهمّ في هذا المجال، وبالتالي اتّخذوا من أفكارهم وكلامهم وأقوالهم سلاحًا يحاربون به في نضالهم السياسي. فإنّهم اجتهدوا في بيان أفكارهم السياسيّة من خلال الشعر. وكان السيّد أحمد بن شهاب‌الدين الرَّضَوي الملقّب بالأديب البِيشاوَري (١٣٤٩- ١٢٦٠ق) من الشعراء الذين أظهروا اهتمامًا بالغًا بحوادث ووقائع عصره السياسيّة، ويُعَدّ من رُوّاد الشعر السياسي، باللغتَين الفارسيّة والعربيّة، في إيران المعاصرة. وبما أنّ أغلب رجال السياسة في إيران في العَهد القاجاري -وخاصّة في عهد الثورة الدستوريّة- كانوا من مُحبّي الشعر والشعراء جعل ذلك من الأدباء يطّلعون على الأفكار السياسيّة والمعاصرة لحياتهم ويلتحقون برجال السياسة. وكان الأديب أبدًا يُلازم السياسيّين والأدباء وأصبحت أشعارُه تعكس حوادث أيّامه.

فهذه الدراسة اختارت الأشعار العربيّة التي تحمل في طيّاتها الأحداث التي حدثت متزامنةً مع الثورة الدستوريّة في إيران. هذا الموضوع الذي تمّ اختيارنا عليه، موضوعٌ مُثير للاهتمام لفَرادته، وتُساعدنا علي معرفة زوايا خفيّة من تأريخ إيران المعاصر؛ وسوف نسلّط الضوء، من خلال هذا الموضوع، علي زوايا خفية من الشعر السياسي العربي في إيران المعاصرة. في هذه الدراسة وبعد الخوض في التعرّف علي حياة الشاعر وديوانه، نحاول الإجابة عن سؤال رئيس، وهو: على ضوء أشعار الأديب البِيشاوَري باللغة العربيّة، ما هي رؤية الشاعر وآراؤه حول ظروف إيران في تلك الآونة وخاصّة في زمن الثورة الدستوريّة؟

وهذا البحث أخذ المنهج التاريخي منهجًا له في سبيل الوصول إلى النتائج المطلوبة. و«هو ﴿المنهج﴾ الذي يتّخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلةً لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخواصّه». (عتيق، ١٩٧٢: ٢٨٨) وسيقودُنا ذلك إلي أحداث طرأت علي العلاقة بين شاعرنا والظروف السياسيّة والاجتماعيّة المحيطة به؛ وذلك عن طريق المصادر المتوفّرة لدينا. سعى هذا البحث الذي بين أيدينا، الوصول إلى النتائج المرجوّه عن طريق قراءة وبحث كُتب ومقالات ورسائل جامعيّة عديدة. بما أنّ الشاعر

البيشاوَري يشير إلي بعض الشخصيّات من دون أن يذكر أسماءهم، وخاصّةً مَن هجاهم؛ فبدراسة المصادر المختلفة حاولنا التعرّف على هؤلاء الأشخاص وأسمائهم. كان الآخوند الخراساني من أهمّ الشخصيّات في الموضوع. بما أنّ الأديب لم يذكر الشخصيّات في أشعاره الفارسيّة وأيضًا لم يأت بأسماء مَن هجاهم في شعره العربي، فإنّ تحقيقنا هذا سيُعَرّف الجميع على أفكار الأديب البيشاوري حول الثورة الدستوريّة ومُوافقيها ومُعارضيها بشكل أوسع.

٢. دراسات سابقة

فيما يتعلّق بحياة الشاعر وأثر الثورة الدستوريّة في أشعاره العربيّة نجد إشارات في بعض الكتب سنُوردها هنا كالتالي:

١- عبدُ الرسولي (١٣١٢ش)، قام بتجميع أشعار الأديب البِيشاوَري الفارسيّةَ والعربيةَ وقام بتوضيح أو ترجمة ما يحتاج إلى ترجمة من الكلمات في الهامش؛ وأدلى بتوضيحات حولَ حياة الشاعر وأخلاقه وعاداته وأسلوبه الشعري، وفي النهاية قام بتصحيح الكلمات الموجودة في أشعاره. وبما أنّ عبد الرسولي من تلاميذ الأديب البِيشاوَري، فآراؤه حولَ شخصيته لها أهمّيّة كبيرة جدًّا.

٢- الأمين (١٩٨٣م)، أودعَ في هذه المجموعة نتيجةَ رحلاته الواسعة في بلاد الشام وإيران والعراق وتنقيبَه في مكتباتها الغنيّة. وُضعَ هذا الكتابُ من دون منهج واضح، ومن دون اكتراث بتوثيق ما فيه من معلومات. وفيه يقول الكاتب عن الهجو في شعر الأديب البِيشاوَري ما نصّه: «وفي شعره ﴿باللغة العربيّة﴾ هجوٌ عظيم لاتبرك عليه الإبل لبعض عُظماء العلماء ﴿الآخوند الخُراساني﴾ لكونهم قوّوا المشروطة في أوّل أمرها ثمّ نشأ عنها ما نشأ. ولا شكّ أنّه مُخطئ في ذلك إذ لا يسوغ هجوُ المسلم علي ما له فيه محمل صحيح فضلًا عن عُظماء وعلماء الدين وورثة شريعة سيّد المرسلين الذين ما قصدوا إلّا الصلاح للأمّة...» (الأمين، ١٩٨٣: ٢/٦٠٤- ٦٠٣).

٣- كيخا (١٣٨٦)، يعتني في بحثه بدراسة أفكار الأديب البِيشاوَري السياسيّة. في بداية الأمر قد أدلي بتوضيحات حول حياة الأديب وسيرته ثمّ ذكر آثارَه وفي النهاية تمّ دراسة أفكار هذا الشاعر الكبير، وآرائه وعقيدته السياسية وذكر الخصوصيّات الإيجابيّة والسلبيّة للحاكم السياسي. يُشير الباحث إلي رثاء الشيخ فضل الله النوري

وهجو مؤيّدي الثورة الدستوريّة في أشعار الأديب البيشاوَري العربيّة ويَعُدّهما سببًا لنزعة الشاعر إلس المشروطة المشروعة.

٤- شفيعي كدكني (١٣٩٠ش)، تناولَ الكاتبُ مجموعة من الأسباب الاجتماعيّة والسياسيّة المؤثّرة في الثورة الدستوريّة وقبل ذلك على الشعر الفارسي. قد قسّم الكتابُ الشعراءَ إلى فئات وأقسام مختلفة، وجعل الأديبَ البِيشاوَري ضمن الشعراء التقليديّين من الطبقة الأولى في عصر الثورة الدستوريّة والذي لم ينلْ مكانةً سامية بين العوامّ من النّاس، لأنّه اعتمد الأساليب الشعريّة القديمة، رغم مكانته ومقامه الشعري وتضلّعه من السياسة الحديثة. يأتي الكاتب في قسم من الكتاب بشرح موجَز حول خصوصيّات الأديب البِيشاوَري الشعريّة. ويري الكاتب أنّ الذي هجاه الأديب البِيشاوَري في قصيدته العربيّة النونيّة هو الآخوند الخراساني.

ومن خلال ما تقدّم، تبيّنّا طبيعة الدراسات السابقة حول موضوعنا، ورأينا أنّ الذين اهتمّوا بأشعار الأديب البِيشاوَري السياسيّة باللغة العربيّة لاتمثّل دراساتُهم إلّا جانبًا صغيرًا من الموضوع، وهو هجو الشاعر الآخوندَ الخراساني في إحدي قصائده. وهذه الدراسات مُبَعثَرَة في ثنايا بعض الكتب ولم نجد بحثًا مستقلًّا تناولَ جميع جوانب الموضوع بشكل دقيق ومنضبط.

وقبل الإجابة عن سؤال هذا البحث، نتعرّف، وبشكل موجَز، علي حياة الأديب البِيشاوَري، علي أن نتوسّع بعد ذلك في دراسة الجوانب التي أولاها اهتمامه في أشعاره المتعلّقة بالثورة الدستوريّة في إيران.

٣. حياة الأديب البِيشاوَري وديوانه

أحمد بن شهاب‌الدين الرَّضَوي. وُلد عام ١٨٣٧م/١٢٥٣ق (الأمين، ١٩٨٣: ٦٠٣/٢) أو ١٨٤١م/١٢٥٧ق (آغابُزُرك الطهراني، ٢٠١٦: ١٧٢/١) أو ١٨٤٩م/١٢٦٥ق (عبرت النائيني، ١٣٧٦: ٦١/١) في بِيشاوَر في الهند. عند بُلوغه سنّ الرشد دخلَ المدرسةَ الابتدائيّةَ ولم يَمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى تعلّمَ الفارسيّةَ جيّدًا وبدأ بتعلّم العربيّة.

«من بداية اقتحام بريطانيا لشبه القارّة الهنديّة لقد تعرّضت القارّة لعديد من النزاعات والحروب القاسية البشعة والذي كان أكبرها حرب مضيق خيبر الذي انفصل فيها بِيشاوَر من الأراضي الأفغانيّة. خلال مجزرتَين لقد اقتتل العديد، ففي المجزرة الأولى

قد قتل جيوش تيمورخان أكثر من مائتَي شخص من البريطانيّين، وفي الثانية لقد قتلت القوى البريطانيّة نصف ساكني تلك الأراضي. وعلى حسب قول الأديب، في خلال هذه الصراعات، أو حسب قوله الجهاد، لقد قُتل أبوه وبنو أعمامه وأكثر أقاربه وأرحامه علي يد هؤلاء الكفّار» (كامران، ١٣٥٣: ٣٣٣).

غادر الأديبُ البيشاوَري بيشاوَرَ إلي كابول، و«عامَ ١٨٦٥م/١٢٨٢ق، ذهبَ إلى خُراسان لدراسة العُلوم الدينيّة لدى أساتذة تلك المنطقة. وسافرَ إلى طهران وحَظِيَ بمكانة مَرموقة بين الكِبار والأعيان» (عبرت النائيني، ١٣٧٦، ٦٢/١-٦١).

للشاعر ديوان يشتمل علي ٤٢٠٠ بيت بالفارسيّة و٣٧٠ بيتًا بالعَرَبيّة جمعَه وعلّق عليه علي عبدالرسولي وقامت بنشره مطبعة المجلس في طهران عام ١٩٣٢م/١٣١٢ش «نظمَ علي الموزون المقفّي في الأغراض المألوفة مِن مَديح ورثاء وغزل وشكوي الزمان وحوادثه، كما نظمَ في الدعاء فدَعا لنصر الدولة العُثمانيّة، ودَعا علي مَن ضلّ وأضلّ، اتّسمَ شعرُه بالجزالة ومتانة التركيب، فيه إفادات مِن موروث الشعر العربي القديم حيثُ يظهرُ في صُوَرِه وأخيلته وأغراضه، يتّجه بأفكار نحوَ تجاوُز الأُطُر القَوميّة والمذهبيّة، وتأثُّرُه بالشريف الرضي واضح، نزعتُه الإصلاحيّة واضحة، وتوجّهُه الإسلامي يُؤَطّرُ جملةَ أغراض شعره» (مُعجَم البابْطَين، ٢٠٠٨: ٦٣٦/٣). «إنّ ديوانه بكلّ صُوَره الفنّية وبكلّ صعوباته اللغويّة وإشارته التاريخيّة واللغويّة والقرآنيّة والحديثيّة والحكميّة والفلسفيّة والكلاميّة يتدفّق بالحقد علي العدوّ البريطانيّ والاستعمار البريطاني وتمنّيات هزيمتهم والدعاء بالنصر لأعدائهم من الألمان والعُثمانيّين» (شفيعي كَدكَني، ١٣٩٠: ٣٢٣ و ٣٢١).

٤. الثورة الدستوريّة وتداعياتها في أشعار الأديب البِيشاوَري العربيّة

يمكننا عبر دراسة أشعار الأديب البِيشاوَري العربيّة أن نشهد خمس قصائد أنشدَها الشاعر في حَقل الثورة الدستوريّة والأحداث المرتبطة بها. وهذه القصائد كالتّالي:

أ - قصيدة سينيّة (٣٢ بيتًا) سجّلت بهذا العنوان: "في الدعاء على أهل الفساد". تبدأ القصيدة بالمطلع التالي:

علـــي ... مِـــن ربّنـــا ألـــفُ لعنـــةٍ وتســـــعةُ آلافٍ علـــــي أهـــــل ...

(عبدالرسولي، ١٣١٢: ١٩٣)

قد حذف مصحّح الديوان كلمتَين من البيت الأوّل. لربّما الكلمتان المحذوفتان كانتا تُقدّمانِ لنا معلوماتٍ حول الشخص أو الأشخاص الذين تمّ هجاؤهم في هذه القصيدة.

ب- قصيدة لاميّة (٦٦ بيتًا) والذي تمّ تسجيلها في الديوان ضمن عنوان «في الدعاء على من ضلّ وأضلّ». مطلع القصيدة كالتّالي:

يـا عـدوَّ الـدينِ مـا تلـكَ الحِيَـلْ سُـقتَ بالـدينِ إلـي الـدينِ الخَلَـلْ

(عبدالرسولي، ١٣١٢: ١٩٥)

كلّ القصيدة هي في الحقيقة هجاء لفقيه واحد، لأنّه ذكر الشاعر في البيت الثامن:

وادّعَيـتَ الفقـهَ والفقـهُ غَـدا منـكَ صَمصـامًا بِكفّـي مُختَبَـلْ

(نفس المصدر: ١٩٥)

ولم يُصَرّح باسم هذا الفقيه في القصيدة.

ج – قصيدة نونيّة (٤٢ بيتًا). يَلعن الشاعر في هذه القصيدة وبشدّة فقيهًا من خراسان. فهو يقول في البيت الأوّل للقصيدة:

فَلْتَصْـرِفِ اللعـنَ مِـن تَـيمٍ وعـدنانِ ومِـن عَـدِيٍّ لِعِلْـجٍ[١] مِـن خُراسـانِ

(نفس المصدر: ١٩٧)

هذه القصيدة في هجاء ولعن الآخوند الملّا محمّد كاظم الخراساني كما أذعن بذلك شفيعي كَدكَني، ذلك المرجع الديني الذي أفتى بالثورة الدستوريّة (شفيعي كدكني، ١٣٩٠: ٣٢٣). وبما أنّ هذه القصيدة أُدرجت بعد القصيدة الماضية مباشرة، فأتى عنوان القصيدة في الديوان «وله في هذا المعنى»، من المحتمل أيضًا أنّ الشخص الملعون والمهجوّ في القصيدة السينيّة هو الآخوند الخراساني.

د- قصيدة لاميّة ثانية (٢٣ بيتًا) في رثاء الشيخ فضل الله النوري. والقصيدة تبدأ بالمطلع التالي:

لازالَ مِـن فضـلِ الإلـهِ وَجُـودِه جَـودٌ يَفِـيضُ علـي ثَـراكَ هَمُـولا

(نفس المصدر: ١٩٠)

هـ - قصيدة نونيّة (٢٤ بيتًا) في مدح أبي‌الحسن ميرزا القاجاري المعروف بحيرت الرئيس. تبدأ هذه القصيدة بالبيت التالي:

هـــل أنـــتَ مُســـمعٌ لِمَـــن يشـــكو إليـــك جَـــوَي الحَـــزَنْ

(نفس المصدر: ١٩٩)

تظهر لنا آراءُ الأديب البِيشاوَري من خلال أشعاره العربيّة. ويمكننا تقسيمها إلى قسمَين: معارضة الثورة الدستوريّة العَلمانيّة، ودعم الثورة الدستوريّة الدينيّة ونصرتها.

٥. معارضة الثورة الدستوريّة العَلمانيّة

الأديب البِيشاوَري كان الرائدَ للشعر السياسي من بين شعراء هذا العصر، وذلك باللغتَين الفارسيّة والعربيّة، فقد نهض لمواجهة الثورة العَلمانيّة وحُماتها، وبيّن عن معارضته في أشعاره، وذلك أبلغ بكثير من لغة النثر. الأنصار البارزون للثورة الدستوريّة العَلمانيّة في إيران والذين خاطبَهم الأديبُ البِيشاوَري في أشعاره، صراحة أو تلويحًا، هم: أحمد شاه القاجاري، الآخوند الخراساني الفقيه المعروف وصحيفة صُور إسرافيل.

٥-١. أحمد شاه القاجاري

أحمد شاه سابع ملوك السلطنة القاجاريّة وآخرهم، وُلد في عام ١٨٩٧م/١٣١٤ق في زمن ولاية عهد والده في تبريز، وقضى طفولته في تلك المدينة. بما أنّ أحمد شاه لم يكن يتجاوز الثالثة عشرة من عمره زمن وصوله إلى السلطة، اختار المجلس الأعلى أن يتولّى عضدالملك كبيرُ آل القاجار الحُكمَ بالنيابة حتّى وصول السلطان سنّ البلوغ. وبعد خمس سنوات تربّع أحمد ميرزا على أريكة الحكم في طهران. في أواخر حكومة أحمد شاه، أُقيمت ثورات متعدّدة في مختلف مناطق إيران وبعد الثورة الثالثة خرجت القدرة والسلطة من يده وفُوّض الحكم إلى رضاخان.

يُشير الأديبُ البِيشاوَري في قصيدته السينيّة إلى أحمد شاه ويطلب منه أن يقف أمام دُعاة الثورة الدستوريّة:

فيـــا أيّهـــا الســـلطانُ لاتَلـــهَ عـــنهُمُ وذَلِّـــلْ جنُـــودَ الفـــاجرينَ وخَـــيّسِ
ورَتّـــبْ رِبـــاطَ الخَيـــلِ في كـــلّ مركـــزٍ وجَهّـــزْ بجَـــيشٍ جَحفَـــلٍ مُـــتَحَمّسِ
وأَمطِـر علـي الأجنـادِ صَـوبَ غَمامَـةٍ مِـنَ الـذَّهَبِ المخـزونِ كـلَّ مُـنَفّسِ

ولاتَغمِـدَنَّ السـيفَ عـنهم وضَـعهُ في رِقـابٍ لهـم تحـتَ السلاسـلِ خُـنّسِ
فلاتُبـقِ مِـن نَعّاقَـةِ الغَـيِّ نابِسًـا وجُـذَّ جُـذُولَ الشـرّ مِـن كـلّ مَغـرِسِ

(عبدالرسولي، ۱۳۱۲: ۱۹۳)

والشاعر الذي لم يَعُدْ يأمل بالسلطان، خاطبه في النهاية بهذا النحو:

فيـا مَلِـكَ الفُسّـاقِ سـاقَكَ مالـكٌ إلـي النـارِ فـانطقْ في السـعيرِ أوِ اخـرَسِ

(نفس المصدر: ۱۹۳)

الأديبُ البِيشاوَري يرى من أحمد شاه شخصًا مستهترًا لن تكون عاقبتُه سوى الدخول إلى جهنّم، لفظ «الفُسّاق» الذي يُطلقه الأديب عليه، يُظهر لنا مدى معارضة الشاعر بالنسبة إلى السلطان ومدى انزجاره بالنسبة إليه. لأنّ البِيشاوَري «شأنه شأن بعض الشعراء والكتّاب القدامي والمعاصرين يشعرون بترديد حول الثورة الدستوريّة ويرونها سياسة اتّخذها الأجانب وعلى رأسها البريطانيا» (خارابي، ۱۳۸۰: ۶۱). الأديبُ البِيشاوَري كان يرى أحمد شاه شخصًا لاهيًا يجري وراء ملذّاته:

وتَـرقُصُ يـومَ الإحتفـالِ مُعَربِـدًا كأنّـكَ مِـن خَمـرِ الحَوانيـتِ مُحـتَسِ

(عبدالرسولي، ۱۳۱۲: ۱۹۴)

والشاعر يرى أنّ الشيء الوحيد الذّي يفكّر به السلطان الشابّ هو الترفيه والسفر إلى البلدان الأخرى:

ومـا لـكَ ديـنٌ غـير مـالٍ تحـوزُه تجـوبُ بـلادًا إثـرَ ذا المـتلمّسِ

(نفس المصدر: ۱۹۴)

بالطبع ليس رأي الأديب البِيشاوَري بعيدًا عن الواقع، لأنّ آخر سلاطين القاجار كان قد سافر إلى أروبا ثلاث مرّات في حين أنّ إيران كانت تُعاني من أزمات حادّة. أسفاره إلى أروبا كانت بهدف الالتذاذ على خلاف أسفار جدّه ناصرالدين شاه الذي كان يقصد في أسفاره التعرّف على الحضارة الجديدة.

الشاعر يَعُدّ السلطان القاجاري مجوسيًّا، لأنّه قد قام بزيارة معابد الزرادُشتيّين المجوس، ونصرانيًّا أيضًا، لأنّه زار كنيسة للمسيحيّين، ويقول في هذا الصدد:

تُمَجِّسُ إن حابــاكَ جمشــيدُ طُعمــةً تُنَصِّــرُ إن وافيــتَ في ديــر سَــرجَسِ

(نفس المصدر)

مع أنّ مثل هذه التعابير يُعَدّ هجاءً لاذعًا، إلّا أنّه ليس هناك بينه وبين الحقيقة أيّ فاصل. فأحمد ميرزا كان شابًّا ولوعًا بالملذّات ولم يكن فيه رغبة بالنسبة إلى الحكم والسلطنة.

والشاعر يُعرّف السلطانَ الذي قصدَه مباشرة، ويقول:

ويــا عَلَويًّــا جــدُّهُ غــيرُ هاشــمٍ فــرَرتَ وكــانَ الفَــرُّ منــكَ بِمَــرمَسِ

(نفس المصدر: ١٩٣)

أحمد شاه، آخر الملوك من الأسرة القاجاريّة، كان معروفًا بأحمد ميرزا. ميرزا أو آميرزا هو مخفّف ميرزاده وميرزاده وأميرزاده، وقد سقطت عنه الألف لكثرة الاستعمال. من جملة المعاني المتعدّدة لكلمة ميرزا: يُطلَقُ على الشخص الذي تكونُ أمّه علويّة. وكلمة علويّة في البيت المذكور يشير إلى هذا اللقب للسلطان. وبما أنّ آخر ملوك القاجار كان أحمد ميرزا، إذن لابدّ أنّ السلطان الذي تمّ خطابُه في هذه القصيدة هو "أحمد شاه".

٥-٢. الآخوند محمّدكاظم الخراساني

يُعَدّ الآخوند الخراساني الذي كان ساكنًا في النجف الأشرف من أهمّ زُعماء الثورة الدستوريّة الإيرانيّة. وكان يُعرف هو ومجتهدان اثنان من مُعاصريه أي الميرزا حسين الطهراني والشيخ عبدالله المازندراني بالآيات الثلاث، وكانوا يُرسلون رسائلَ إلى الزعماء الروحيّين والسياسيّين في داخل البلاد وينشرون الإعلانات الإيضاحيّة المنوّرة وبهذا أصبحوا من رُوّاد هذه النهضة. فكان يرى الآخوند وأنصارُه أنّ نظامَ الثورة الدستوريّة أداة لمكافحة الظلم والمشاركةَ في الثورة الدستوريّة واجب على جميع المسلمين. لم يكن موته موتًا طبيعيًّا وكان من المحتمل أنّه مات مسمومًا من قِبل عُمّال الإنجليز.

الأديبُ البِيشاوَري يتابع مسيرته في معارضة الثورة الدستوريّة وأنصارها بحيث يكفّر أنصارها ويحسبهم من الزنادقة، والآخوندَ الخراساني الذي أصدر فتوى الثورة

الدستوريّة أيضًا عَدّه ضمن هذا التكفير، فهو يرى أنّ الخراساني شخص مُلحد حمل في قلبه ضغينة بالنسبة إلى أحسن الأديان والأمم، فالأديب عَدّ نصرة الثورة ذنبًا عظيمًا لا يمكن مقارنته بذنوب الشيطان فذنوب الشياطين أخفّ وأبسط من ذنوب هؤلاء. فقد قال شفيعي كدكني في هذا الصدد: «الأديب خالفَ الثورة الدستوريّة في إيران، لأنّه كان يَراها تميل إلى مصالح الإنجليز فهو لم يكن يرى ذنبًا أعظم من الخيانة إلى الوطن والوقوف إلى جانب الأجانب» (شفيعي كدكني، ١٣٩٠: ٣٢٢). وهو يطلب من الله أن يشتّت شمل دُعاة الثورة الدستوريّة ويتبيّن لنا هذا التفكير في إنشاده للأبيات العربيّة التالية:

ما نقمتَ أيّها الزنديقُ من ... خيرِ الَاديانِ ومن خيرِ المِلَلْ
لو أتَيَ السَّواقُ يومَ الحشرِ بالسـ ... ـامريِّ والشياطينِ الأُوَلْ
ثمّ عادَلْناكَ ميزانًا بهم ... لَرَجَحتَهُم وشالوا في الثِقَلْ

(عبدالرسولي، ١٣١٢: ١٩٥)

فالأديبُ البِيشاوَري يقول في نفس القصيدة حول الآخوند الخراساني:

يا شَجا الحلقِ وشجوًا في الحَشا ... وقَذَي العَينِ وعُوّارَ السَّبَلْ
ليتَما مِن قبلِ يومٍ سُمتَنا ... خُطّةَ الخَسفِ ورُمتَ بالعُضَلْ
جالَ فيه تحتَ جَنبَي كافر ... منكَ عَسّالٌ لِجَوّالِ الأَجَلْ
كم حَنيفٍ مُسلمٍ قد خُنِقَت ... منه أَوداجٌ بِمَجدُولِ الطِّوَلْ
ليتَ شِعري هل لِمَن أفتي به ... حُجّةٌ في محضرِ الربّ الأَجَلْ

(نفس المصدر: ١٩٧-١٩٦)

يرى الأديبُ البِيشاوَري أنّ الآخوند الخراساني كَشَوك في الحلق، يمنع الإنسان عن إظهار القول أو الشكوى وكألم في القلب يسبّب للإنسان الكآبة والخنق وكذلك هو كالقذى في العين يؤدّي إلى ألم في العين من جهة ومن جهة أخرى يؤدّي إلى احتجاب الرؤى والغفلة عن كثير من المسائل وهو يراه بأنّه كطريق وعر يؤدّي بالإنسان الملول التعب إلى الانحراف والمتاهة. فهو يرى كلّ الطرق المؤدّية إلى الثورة الدستوريّة إلى

الاحتقار والضرر فهو يعتقد بأنّها طريق وعر أو بتعبير آخر طريق منحرف سلكه كثير من أفراد المجتمع منهم الآخوند الخراساني. والأديب البِيشاوَري يتأسّف لماذا هو بقي حيًّا وشهد مثل هذه الحوادث والتطرّفات والمآثم، لأنّ الكثير من المسلمين أمثال الشيخ فضل الله النوري قد أودي بحياتهم في سبيل مكافحة أنصار الثورة الدستوريّة والالتزام بالعقيدة. وكذلك يرى الأديب البِيشاوَري بأنّ الآخوند الخراساني ليس له من الحجّة والاستدلال المقنع لصدوره مثل هذه الفتوى أمام ربّه المتعال، ويمكننا رؤية مثل هذه العقيدة في أشعاره بشكل مشهود.

وفي موضع آخر أعرب الأديبُ البِيشاوَري عن طلبه لعاقبة مُرّة للآخوند الخراساني وهذا يُظهر لنا مدى تشاؤمه ورؤيته السلبيّة بالنسبة إلى الثورة الدستوريّة وأنصارها، فهو يطلب من الله عدم غفرانه ويأمل في أن يرى عاقبة أمره وأن يلبسه الله لباسًا من الحديد المذاب لكي يتلاشي وجوده:

فَلْتَصْرِفِ اللعنَ مِن تَيمٍ وعدنانِ ... ومِن عَدِيٍّ لِعِلْجٍ مِن خُراسانِ

فَلا عَفا الغافرُ الدَّيّانُ سيّئةً ... عنه وألبسَهُ سِربالَ قَطرانِ

لم يَصْحُ مِن سُكرِ خُرطومِ الضلالِ إلي ... أن جَرّعَتهُ اللّظي غَسّاقَها الآني

قد قيلَ مجتهدٌ هذا فقلتُ نعم ... قد جَدَّ مُجتهداً في طَمسِ فُرقانِ

(عبدالرسولي، ١٣١٢: ١٩٧)

يرى الأديبُ البِيشاوَري أنّ الآخوند الخراساني ظلّ في هذا المسير المنحرف إلى آخر حياته، وكان يرى أنّ نصرة الثورة الدستوريّة كالسكر من شرب الخمر حتّى تمنحه شرارة جهنّم ولهبها ماء من غسلين وبناء على كيفيّة موت الخراساني يمكن أن نعدّ دولة الإنجليز والماء المذاب والمتلوّث سمًّا أجرعته دولة الإنجليز إلى الخراساني حتّى تُودي بحياته.

٣-٥. صحيفة صُور إسرافيل

إحدى أهمّ الصحف المؤثّرة في العصر القاجاري وعصر الثورة الدستوريّة هي صحيفة صُور إسرافيل الأسبوعيّة. هذه الصحيفة تأسّست وانتشرت على يد الميرزا جهانگيرخان الشيرازي ويكتب فيها علي أكبر خان القزويني المعروف بـ «دِهخُدا□.

«وقد تمّ توقيف الصحيفة لعدّة مرّات بسبب إهانتها إلى المقدّسات والطقوس والشخصيّات الدينيّة والحُكام، وتمّ صدور حكم تكفير كتّابها وارتدادهم من قِبل المرحوم الطباطبائي» (ملك‌زاده، ١٣٨٣: ٤٣٩-٤٣٨).

يقول الميرزا علي أكبر دِهخُدا زميل الميرزا جهانگيرخان الشيرازي ومناصره عنه: «لقّب الميرزا جهانگيرخان الشيرازي بصُور إسرافيل من أجل إدارته لصحيفة صُور إسرافيل. فهو وُلد في مدينة شيراز وذهب إلى طهران برفقة عمّته في عام ١٩٣٢م/١٣١١ش وعكف على الدراسة في دار الفنون وسائر المدارس العالية في طهران. وفي هذا الحين بدأت نهضة الثورة الدستوريّة. وقد التحق باللّجان الإيرانيّة السرّيّة والمجامع الخفيّة وأسّس صحيفة تُدعَى صُور إسرافيل. وفي النهاية ذهبوا بالكاتب إلى بستان وخنقوه في ذلك المكان» (دهخدا، ١٣٣٧: ١٥٠٨٠). وبناءً على تصريحات صفائي، دِهخُدا هو الكاتب الرئيس للإهانات الموجودة في الصحيفة: «دِهخُدا هو رئيس التحرير والكاتب الرئيس للمقالات الأساسيّة لصُور إسرافيل، وتطرّفاته وتهوّراته، أدّت بميرزا جهانگيرخان إلى الموت وهو قد نجى من هذه المعركة» (صفايي، ١٣٦٢: ٦٣٥-٦٣٦).

﴿علي أكبر دَخو﴾ «المعروف بـ«دِهخُدا» أتى إلى طهران متزامنًا مع النهضة الدستوريّة، وأسّس في عام ١٩٤٦م/١٣٢٥ق صحيفة صُور إسرافيل بمساعدة من الميرزا جهانگير خان وأحد أقربائه الميرزا قاسم خان. وبعد انحلال المجلس، ذهب جمع من الأصدقاء إلى سفارة الإنجليز وبعد ذلك ذهب إلى أروبا. فهو كان ممّن نجى من سفارة الإنجليز وفي النهاية توفّي في السادس والسبعين من عمره» (سبزي پور وأحمدي‌خواه، ١٣٨٨: ١٢٨).

وبصورة عامّة، كان القائمون على هذه الصحيفة يعدّون الدين خرافة وأوهامًا وسخريّة ويسمّون دُعاةَ الثورة الدستوريّة الدينيّة بعَبَدَةِ التقاليد المزيّفة. فأحيانًا -على سبيل الكناية وتارةً أخرى بشكل صريح- كانوا يتعرّضون إلى معتقدات الناس وكانوا أيضًا يتعرّضون بالنسبة إلى الله والقرآن الكريم وحكم الله المبين بحجّة التعرّض إلى العلماء. فهذه الصحيفة أهانت جميعَ العلماء والفلاسفة والمتنوّرين الإيرانيّين. طبعت صُور إسرافيل في إحدى أعدادها مقالًا وهو في الواقع إدّعاءٌ شديد ضدّ جميع الفلاسفة

والمتكلّمين الكبار في بلدنا. فقد ورد في المقال ما نصّه: «حكمتنا وكلامنا هو في الواقع معجون مضحك من خيالات سكرى الهنود، أفكار عبدة الأصنام في اليونان، أوهام كهنة كلدة وتخيّلات رهبان اليهود، أئمّة الصمّ من العبّاد، علماء العبدة في لاما ورؤساء الهند من عبدة العناصر، فكلّ منهم قد كتب على الحدّ الأدنى كتابًا أو كتابَين-باختصار أو بالتفصيل- في فلسفة مذهبه الباطل وقام بنشره بين أمّته وشعبه. ولكن منذ غضون ١٣٠٠ عام، لم يفتح ولعُ الرئاسة ولذّة أصوات النعال وحرص القرب من السلطان لعلمائنا المجالَ أن يفصلوا هذه الأباطيل من الدين وأن يكتبوا وينشروا رسالة مختصرة تشتمل على حكمة الطريقة الصحيحة بلسان العوام» (أبوالحسني، ١٣٧٩: ١٣٢-١٣٠).

يقول الأديب البيشاوري أبياتًا في شأن هذه الصحيفة ومسؤوليها، وهي كالتّالي:

و مــن صُــورِ إســرافِيلَ شــرَّ مَجَلّــةٍ كفــي قــبضُ عزرائيــلَ أشــرارَ أنفُــسِ

وركضــةُ روحِ القُــدسِ ألقــت مُنافقًــا تُسَــمّي بــه في قعــر شــرّ مُعَــرّسِ

(عبدالرسولي، ١٣١٢: ١٩٣)

يرى الأديب البيشاوري أنّ صحيفة صُور إسرافيل أسوأ صحيفة والقائمين عليها هم أهل النفاق ولن تكون عاقبتهم سوى قعر جهنّم.

٦. دعم الثورة الدستوريّة الدينيّة

الأديبُ البِيشاوَري في أشعاره باللغة العربيّة إلى جانب مُعارضته الثورةَ الدستوريّةَ العَلمانيّةَ يقوم بمدح دُعاة الثورة من المذهبيّين أو دُعاة الثورة الدستوريّة من الذين كانوا ينتقدونها على الرغم من موافقتهم لها. وهو مدحَ عالَمين معروفَين في هذا العصر بشكل خاصّ، وهما الشيخ فضل الله النوري والشيخ الرئيس قاجار.

٦-١. الشيخ فضل الله النوري في شعر الأديب البِيشاوَري

الشيخ فضل الله النوري (استُشهد في عام ١٣٢٧ق)، مجتهد ومن رُوّاد المذهبيّين في قيام التبغ ونهضة الثورة الدستوريّة. كان يسعى الشيخ فضل الله في بداية النهضة إلى تشكيل بيت العدالة لتنظيم أمور البلاد، لكن بسبب دسائس المعارضين، غيّروا رأي الشاه إلى الثورة الدستوريّة وأقبل الناس في بعض المدن إلى الثورة. والشيخ النوري وافق على هذا اللفظ، ولكنّه كان يهدف إلى ثورة دستوريّة دينيّة وإيرانيّة تلائم المصالح الدينيّة

والوطنيّة للنّاس. من هذا المنطلق قصد عبر الجمع بين الاثنين أن يصلح هذا الشعار وأن يقدّم تفسيراً دينيًا وشرعيا حوله. فهو لم يرضَ بالثورة الدستوريّة في مبدئها الأجنبي وكان يقصد منها الصورة القوميّة والإسلاميّة للثورة وهو في النهاية لم ينلْ توفيقًا في هذا المجال.

لا نجد من المعلومات حول العلاقة الموجودة بين الأديب البِيشاوَري والشيخ فضل الله النوري، لكن الأديب البِيشاوَري «كانت له علاقة ودّية مع الميرزا محمّد علي خان قوام الدولة التفرشي الذي كان من رجال السياسة المستقلّين الذين شاركوا ونصروا الشيخ فضل الله في حوادث الثورة الدستوريّة» (أبوالحسني، ١٣٧٣: ٥٠).

أنشد الأديب البِيشاوَري في رثاء الشيخ فضل الله النوري قائلًا:

لازالَ مِـــن فضـــل الإلـــهِ وَجُـــودِه جَـــودٌ يَفِـــيضُ علـــي ثَـــراكَ هَمُـــولا
رَوَّي عظامَـــكَ وابـــلٌ مِـــن سَـــيبِه يَعتـــادُ لحـــدَكَ بُكـــرةً وأصـــيلا
فـــالرّوحُ راقٍ والعِظـــامُ تنزّلَـــتْ كالآيـــة اليـــوحَي بهـــا تنـــزيلا

(عبدالرسولي، ١٣١٢: ١٩١-١٩٠)

الأديبُ البِيشاوَري في الأبيات المذكورة يطلب الغفران لمن كان معارضًا للثورة الدستوريّة. فهو يرى أنّ هؤلاء سيظلّون تحت رعاية الله وسيبقى اسمهم خالداً. فهو قد ساوَى بين جسم الشيخ وآيات القرآن الكريم حيث يُساوي دفنُه نزول الآيات القرآنيّة. هذه العظمة والإجلال لأحد رموز معارضة الثورة الدستوريّة تُظهر لنا مدى الرؤية الايجابيّة التي كان يتمتّع بها الأديب البِيشاوَري بالنسبة إلى الشيخ فضل الله النوري وسائر مُعارضي الثورة الدستوريّة وأنصار التيّار الداعم للثورة الدستوريّة المشروعة.

٦-٢. الشيخ الرئيس القاجاري في شعر الأديب البيشاوري

أبوالحسن شيخ‌الرئيس بن حُسام‌السلطنة مِن أحفاد فَتحْعلي شاه القاجاري. وُلد عام ١٢٦٤ ق، أي متازمنًا مع جلوس ناصرالدين شاه على أريكة الحكم، في تبريز، وتوفّي في طهران عام ١٨٣٤ق عاش في إيران والعراق، وطَوّفَ بعدد من البلاد الإسلاميّة والهند. تلقّي الآدابَ والعُلوم الإسلاميّة في تبريز وطهران ومشهد، ثمّ رحلَ إلي العراق لمواصلة دراستِه الدينيّة. (عبرت النائيني، ١٣٧٦، ٧٠٠/٢ و ٧٠١) كان الشيخ

منتسبًا إلى الأسرة القاجاريّة وكان من أمرائها، إلّا أنّه ظلّ في حياته مُعارضًا للحكومة القاجاريّة المستبدّة ومع بدء الثورة الدستوريّة وقف إلى جانب دُعاة هذه الثورة. ومع أنّ الشيخ الرئيس كان من هُواة الثورة الدستوريّة وكان ممثّلًا في دورتَين من مجلس الثورة الدستوريّة ولكنّه لم يكن ليقبل الثورةَ الدستوريّة من دون وضع شروط وقيود محدّدة وكان يقبل النقد الموجّه إلى الثورة. قد كتب شيخ الرئيس في كتابه نافع الأفهام ورافع الأوهام حول مَن كان مِن دُعاة الثورة الدستوريّة في البداية وبعد ذلك خالفَها:

«لا يجب على دُعاة الثورة الدستوريّة الذين يتمتّعون بحرارة كبيرة، أن يعكّروا الصفو ويجب أن يتبيّنوا قصد القائل ويفهموه. إذا كان قصده أنّ الحكومة المستبدّة حكومة حسنة وترك العدل والعدالة أمر جيّد وأن يتملّق معتمدًا أسلوب المترسّلين والعلماء السوء في البيان والاستشهاد بالمغالطات والسفسطة في نقل الروايات أو الآيات أو القضايا الشعريّة، على سبيل المثال يقولون: السلطان ظلّ الله والظلّ مثل ذي الظلّ لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون وأمر الله وأمر السلطان سواء.. مثل هذه العقائد أحطّ من حشرات الأرض...وإذا كان مقصود القائل بغضّ النظر عن الثورة الدستوريّة وعلى ضوء الحياة الطيّبة يجب أن يقول عن حسن نيّة أنّ الثورة مغلوطة وتحتاج إلى إصلاح وتصحيح وتكميل، مثل أن يخبر قارئ صحيح القراءة عن وجود قرآن في طبعة جديدة في كذا مكان فيها أخطاء عدّة، فمن المحتمل أن نظنّه يهين القرآن» (الشيخ الرئيس، ١٣٣٥: ١٢-١٠).

يُشير الشيخ الرئيس بعد ذلك إلى هذه النقطة بأنّه مشغول بكتابة رسالة في نقد الثورة الدستوريّة: «أمّا بيان عدد الإصلاحات اللازمة وتشريح صفاتها السلبيّة والثبوتيّة للثورة الدستوريّة تحتاج إلى رسالة مستقلّة، وهي رسالة قيد الكتابة والتحرير» (نفس المصدر: ١٣).

وربّما بسبب هذه العقيدة المنصفة للشيخ الرئيس بالنسبة إلى الثورة الدستوريّة، قام الأديب البِيشاوَري بمدحه في قصيدة مستقلّة. فهو يقول فيها:

يَنسَـــي الفـــؤادُ وِدادَكـــم أنَّـــي وإنّـــي مُـــرتَهَنْ
كلّـــا ورَبِّ محمّـــدٍ إنّـــي أُحِـــبُّ أبـــا الحسَـــنْ

وكـــــأنّ قلـــــبي والهـــــوَي للشـــــيخِ لُـــــزّا في قَـــــرَنْ

(عبدالرسولي، ١٣١٢: ١٩٩)

يُظهر الأديبُ البِيشاوَري في الأبيات المذكورة، رغبتَه وحبّه بالنسبة إلى الشيخ الرئيس ويرى نفسه ملتزمًا إلى هذا الشخص وقد شبّه حبّه إليه كقرن موصول بالجسم، لأنّ فكّها أمر في غاية الصعوبة وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على مدى الرؤية الإيجابية والمحبّة والانحياز الفكري والعلمي للأديب بالنسبة إلى الشيخ. فهو يشير في موضع آخر إلى النزعة التقليديّة عند الشيخ:

ونَكســـــتَ رايـــــاتِ البِـــــدَعْ ورفعـــــتَ آيـــــاتِ السُّـــــنَنْ

(نفس المصدر: ١٩٩)

يُشير الأديبُ البِيشاوَري في هذا البيت إلى مدى التقليديّة عند الشيخ ومقابلته لدُعاة البدع. القصد من البدع وأنصارها هم – أغلب الظنّ - دُعاة الثورة الدستوريّة الذين يرون من الدين خرافة تمنع الإنسان من الرقيّ.

وفي نهاية هذا البحث آن الأوان أن نتطرّق إلى موضوع المجون في زمن الثورة الدستوريّة، والذي يراها الأديب البِيشاوَري من تداعيات هذه الثورة.

٧. مُعارضة المجون في زمن الثورة الدستوريّة

انتشرت في هذا العصر دعايات كثيرة في الصحف والمجتمعات تحرّض على الحجاب السيّئ أو بعبارة أخرى السفور واكتشاف الحجاب. وعلاوة على الصحف، كانت عدد غير قليل من المراكز الحديثة التأسيس، المسرح، السينما والأندية تحاول إشاعة الحداثة والتجديد وفي هذا الصدد كانت تسخر من حجاب النساء وكانت تعبّر عنه بالكفن الأسود. وفي الجهة المقابلة كان يقف من يحارب السفور عبر نشره للمقالات أو الأشعار. وعبر إلقاء نظرة موجزة على أشعار الأديب البِيشاوَري يمكن أن نشهد أبياتًا من الشعر فيما يتعلّق بكشف الحجاب ورأي الأديب عنها:

وإن تَـــراءَت نســـاءُ القـــومِ ضـــاحيةً في السُّوقِ مُستَصحِباتِ المِسكِ والبانِ

كـــأنّ سِـــربَ مَهًـــي تَقفُـــو نِعـــاجَ فَلًـــا حُلِّـــينَ مِـــن شَـــذرِ يـــاقُوتٍ ومَرجـــانِ

فالعَن علي ﴿مَن﴾ نَضا سرَّ العَفافِ بلِ الـ حَيـــاءَ مِـــن أوجُـــهٍ مِـــنهُنّ غُـــرّانِ

(عبدالرسولي، ١٣١٢: ١٩٧)

يتحدّث الأديب حول ظروف النساء وأعمالهم في عصره والتي تُظهر لنا مدى رغبتهم بالنسبة إلى الغرب وطرد الدين. ظهور النساء في المجتمع في عصر الأديب مع عطور فائحة وبذيئة ممّا تثير الانتباه، هي من علامات الإعراض عن الدين الإسلامي. الأديب البِيشاوَري يتكلّم في أشعاره عن نساء قد زيّنوا رقابهم عبر وضعهنّ الدرر والجواهر والمرجان على أعناقهم ويشبّههنّ الشاعر بالغزلان وغنم الصحراء، وفي الواقع، فهو يقارن النساء اللواتي رغبن إلى السفور مع الحيوانات التي لا تفقه معنى الحجاب مدى حياتها، ومن الممكن أن نستنبط من ذلك أنّ الأديب يرى النساء كلحم الحيونات، والسلطة التي تحرّض على السفور هم في الواقع ذئابٌ تسعى إلى الانقضاض عليها. فهو يلعن أيضًا أولئك الذين كان لهم يد في زوال الحجاب والعفاف عن وجه النساء وهذا يُظهر لنا وبوضح مدى معارضة الأديب بالنسبة إلى هذه الأفكار الغير الإسلاميّة والتي هي منحدرة من السياسة الغربيّة.

الأديب البِيشاوَري يشير في نفس القصيدة إلى انتشار الحانات في تلك الفترة:

وإن أَمَـــرّت بـــكَ الأَوطـــارُ آونَـــةً تَبغـي القضـاءَ لهـا في سُـوقِ طَهـرانِ

فحَيـثُ شـاهدتَ حانـاتِ الخُمُـورِ بهـا يَرتادُهـــا كـــلُّ سَـــكرانٍ ونَشـــوانِ

فـالعَن علـي ذلـكَ العِلـجِ المُبِـيحِ لهُـم هَتـكَ الحُـدُودِ علـي جَهـرٍ وإعـلانِ

(نفس المصدر: ١٩٧)

وبناءً على لفظة «الحانة» التي تعني محلّ لبيع الشراب أو «خرابات» ووجود مثل هذه الأماكن، تُظهر لنا عدم الاهتمام بالإسلام وأركانه. يرى الأديب البِيشاوَري بأنّ "الحانات" من مظاهر الكفر وطرد الديانة والميل إلى التجدّد واتّباع الغرب، فقد كانت إيران تعاني منه في تلك الفترة. فهو يتحدّث عن سوق طهران الذي أصبح يعجّ بالسكرى من النّاس. في الواقع يمكن القول بأنّ الأديب البِيشاوَري يخبر عن الدعايات الواسعة والفساد الشامل الذي غطّى العاصمة طهران، وعندما تستلم السلطة مركز إيران للنيل من أهدافها، فلن يكون من الصعب صنع المدن الصغيرة. وفي النهاية فهو

يدعو إلى لعن أولئك الذين تسبّبوا في هتك حدود الله، وهو يقصد في ذلك زعيم الثورة الدستوريّة في إيران أي الآخوند الخراساني.

٨. النتائج

كانت غايتُنا الأساسيّة في هذه الدراسة الإجابة عن سؤال رئيس، وهو: على ضوء أشعار الأديب البِيشاوَري باللغة العربيّة، ما هي رؤية الشاعر وآراؤه حول ظروف إيران في تلك الآونة وخاصّة في زمن الثورة الدستوريّة؟ وحاولنا أن نردّ علي هذا السؤال عن طريق المنهج التاريخي. والآن قد وصلنا إلي نهاية المطاف لعرض أهمّ ما توصّل إليه البحث. في خصوص رؤية الشاعر حول ظروف إيران في تلك الآونة يمكن الإشارة إلي النقاط التالية:

١- معارضة الثورة الدستوريّة العَلمانيّة وأنصارُها، وهم: أحمد شاه القاجار، الأنصار الإسلاميّون بزعامة الآخوند الخراساني، الأنصار العَلمانيّون وعلي رأسهم صحيفة صُور إسرافيل. الشاعر الذي لم يَعُدْ يأمل بالسلطان أحمد شاه، يخاطبُه بـ« مَلِكَ الفُسّاق». الأديبُ البِيشاوَري يرى من أحمد شاه شخصًا مستهترًا لن تكون عاقبتُه سوى الدخول إلى جهنّم، لأنّ البِيشاوَري شأنه شأن بعض الشعراء والكتّاب القُدامي والمعاصرين يشعرون بترديد حول الثورة الدستوريّة ويرونها سياسة اتّخذها الأجانب وعلى رأسها البريطانيا. ويهجو الأديبُ البِيشاوَري زعيمَ الثورة الدستوريّة الآخوند الخراساني ويكفّره. يرى الأديبُ البِيشاوَري أنّ صحيفة صُور إسرافيل أسوأ صحيفة والقائمين عليها هم أهل النفاق ولن تكون عاقبتهم سوى قعر جهنّم، وكلّ ذلك، لأنّ الصحيفة وكتّابها العَلمانيّين كانوا مع الثورة الدستوريّة وضدّ المبادئ الدينيّة.

٢- دَعم الثورة الدستوريّة الدينيّة وأنصارِها وعلي رأسهم الشيخ فضل الله النوري. أنشد الأديبُ البِيشاوَري قصيدة في رثاء الشيخ فضل الله النوري وقام بإجلاله فيها. هذه العظمة والإجلال لأحد رُموز معارضة الثورة الدستوريّة تُظهر لنا مدى الرؤية الايجابيّة التي كان يتمتّع بها الأديب البِيشاوَري بالنسبة إلى الشيخ فضل الله وسائر مُعارضي الثورة الدستوريّة وأنصار التيّار الداعم للثورة المشروعة. وقام الأديبُ

البِيشاوَري بمدح الشيخ الرئيس القاجاري في قصيدة مستقلّة وذلك لعقيدته المنصفة إزاء الثورة الدستوريّة واعترافه بأخطاء ارتكبها بعض الثورويّين في حينها.

٣- يتحدّث الأديبُ البِيشاوَري حول ظروف النساء وأعمالهم في عصره والتي تُظهر لنا مدى رغبتهنّ بالنسبة إلى الغرب وطرد الدين. يُقارن الشاعر النساء اللواتي رغبن إلى السفور مع الحيوانات التي لا تفقه معنى الحجاب مدى حياتها. ويُشير الشاعر إلى انتشار الحانات في تلك الفَترة. ويَعُدّ الشاعرُ السفورَ وانتشار الحانات من نتائج الثورة الدستوريّة في إيران فيلعنُ زعماءَها وعلي رأسهم الآخوند الخراساني.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربيّة

- آغابُزُرك الطهراني، محمّدمُحسن (١٤٣٨هـ.). طبقات أعلام الشيعة (نُقَباء البشر في القرن الرابععشر)، طهران ومشهد، مكتبة مجلس الشوري الإسلامي ومجمع البحوث الإسلاميّة التابع للآستانة الرضويّة المقدّسة.
- ابن منظور (١٩٩٢م). لسان العرب، نسّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه علي شيري. المجلّد التاسع. بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربي.
- الأمين، محسن (١٩٨٣م). أعيان الشيعة، حقّقه وأخرجه حسن الأمين. المجلّد الثاني. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
- شاملي، نصرالله؛ باقري دِهبارِز، حَميد (١٣٩٣ش). دراسة الشعر العربي المعاصر في إيران أدبيًّا وتاريخيا (من القرن الرابع عشر للهجرة حتّى الآن). قم: مجمع الذخائر الإسلاميّة: مؤسّسة تاريخ العلوم والثقافة.
- مُعجَم البابْطَين لشُعراء العَرَبيّة في القرنَين التاسععشر والعشرين (٢٠٠٨م). تقديم: هيئة المُعجَم، إشراف: عبدالعزيز سعود البابْطَين، الكويت، مؤسّسة جائزة عبدالعزيز سعود البابْطَين للإبداع الشعري.

الكتب الفارسيّة

- أبوالحسني، علي (١٣٧٣ش). آينه دار طلعت يار. طهران: چاپ و نشر بنياد.

- بِيشاوَري، أحمد (١٢٩٧ش). قيصرنامه. طهران: مكتبة مجلس الشوري الإسلامي، المخطوطة المرقّمة ١٣٧٦٨.
- خارابي، فاروق (١٣٨٠ش). سياست و اجتماع در شعر عصر مشروطه. طهران: انتشارات دانشگاه طهران.
- دِهخُدا، علي أكبر (١٣٧٧ش). لغت‌نامه دهخدا. طهران: مؤسّسه انتشارات وچاپ دانشگاه طهران.
- سبزي پور، أمير؛ أحمدي‌خواه، علي (١٣٨٨ش). "بررسي هفته‌نامه صور إسرافيل"، مجلّه تاريخ إسلام در آينه پژوهش، ع٢١، ص ١٤٨-١٢٣.
- شفيعي كدكني، محمّد رضا (١٣٩٠ش). با چراغ و آينه در جست وجوي ريشه‌هاي تحوّل شعر معاصر إيران. طهران: سخن.
- الشيخ الرئيس، أبوالحسن ميرزا (١٣٣٥ش). نافع الأفهام ورافع الأوهام طبعة حجريّة. طهران: نشر حاج عبد العظيم
- صفايي، إبراهيم (١٣٦٢ش). رهبران مشروطه. طهران: جاويدان.
- عبد الرسولي، علي (١٣١٢ش). ديوان قصائد وغزليات فارسي وعربي أديب پيشاوري. طهران: مطبعة مجلس.
- كسروي، أحمد (١٣١٩ش). تاريخ مشروطه إيران. طهران: أميركبير.
- كفايي، عبد الحسين (١٣٥٩ش). مرگ نور (زندگاني آخوند خراساني). طهران: زوار.
- المصاحبي النائيني، محمّد علي (١٣٧٦ش). تذكرة مدينة الأدب. طهران: مطبعة مجلس الشوري الإسلامي.
- ملك‌زاده، مهدي‌خان (١٣٨٣ش). تاريخ إنقلاب مشروطيت إيران. طهران: سخن.

المجلات

- شيخ الملك أورنگ، عبد الحسين (١٣٤١ش). "أديب پيشاوري"، مجلّه أرمغان، طهران، ع١، صص ١٧-١٣.

- كامران، مرتضي (١٣٥٣ش). "شاعران گزيده معاصر : علّامه أديب پيشاوري"، مجله گوهر، طهران، ع١٦، ص٣٣٧-٣٣١.
- كيخا، عصمت (١٣٨٦ش.). "أفكار سياسي آقا سيد أحمد رضوي مشهور به أديب پيشاوري"، مجلّه علوم سياسي دانشگاه باقر العلوم، قم، ع٣٧، ص ١٨٨-١٧١.

١ العِلج: الرجل من كفّار العجم (ابن منظور، ١٩٩٢: ٣٤٩/٢)